الصباح الإسلامية
09
إعداد : ياسر السيد
العدد 2268 - السنة الثامنة
الخميس 3 ذي الحجة 1436 - الموافق 17 سبتمبر 2015
Thursday 17 September 2015 - No.2268 - 8th Year

مقاصد الشريعة الإسلامية تهدف إلى حماية الإنسان خليفة الله في الأرض (3-3)

حفظ العقل والنسل والمال من اهتمامات المشرع الرئيسية

شرع الإسلام تشريعات تهدف في المقام الأول إلى حماية الإنسان وحفظ نفسه وماله وعرضه وعقله ، ليكفل له تعمير هذه الأرض الذي استخلف فيها ، ويمارس التكاليف الربانية من عبادات وطاعات بسهولة ويسر . ومن مقاصد التشريع الإسلامي التي أراد المشرع بها حماية الإنسان وحفظه بها حفظ النفس والدين والعقل والنسل والمال ، تكلمنا في المرة السابقة عن حفظ النفس والدين وفي السطور التالية سنتحدث عن ما بقي من الضرورات الخمس أو ما يطلق عليها بين فقهاء الشريعة الكليات الخمس .

ثالثا : حفظ العقل

للعقل في الإسلام أهمية كبرى فهو مناط المسؤولية، و به كرم الإنسان و فضل على سائر المخلوقات، و تهيأ للقيام بالخلافة في الأرض و حمل الأمانة من عند الله،قال تعالى:((إنا عرضنا الأمانة على السموات و الأرض و الجبال فأبين أن يحملنها و أشفقن منها و حملها الإنسان)) و لهذه الأهمية الخاصة حافظ الإسلام على العقل و سن من التشريعات ما يضمن سلامته و حيويته و من ذلك:

1 – أنه حرم كل ما من شأنه أن يؤثر على العقل و يضر به أو يعطل طاقته كالخمر و الحشيش و غيرها قال تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر و الميسر و الأنصاب و الأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون))

2 – كما شرع العقوبة الرادعة على تناول المسكرات و ذلك لخطورتها و أثرها البالغ الضرر على الفرد و المجتمع.

3 – أنه ربى العقل على روح الاستقلال في الفهم والنظر واتباع البرهان ونبذ التقليد غير القائم على الحجة كما في قوله تعالى:((أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم)) ((ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه)) ((قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين))

4 – كما دعا إلى تنمية العقل ماديا و معنويا: ماديا بالغذاء الجيد الذي يقوي الجسم و ينشط الذهن، ومن هنا كره للقاضي أن يقضي و هو جائع ،و فضل تقديم الطعام على الصلاة إذا حضرا معا. أما معنويا فبالتأكيد على طلب العلم واعتباره أساس الإيمان، قال تعالى: ((إنما يخشى الله من عباده العلماء)) ((و قل رب زدني علما)) كما أتاح فرصة التعليم للجميع و جعله حقا مشاعا بين أفراد المجتمع، بل جعل حدا أدنى منه واجبا على كل مسلم ومسلمة

5 – رفع مكانة العقل و تكريم أولي العقول ففي أكثر من آية من القرآن الكريم، قال الله تعالى:((فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب)) ((إن في خلق السموات و الأرض و اختلاف الليل و النهار لآيات لأولي الألباب)) ((قل هل يستوي الذين يعلمون و الذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب))

6 – تحرير العقل من سلطان الخرافة و إطلاقه من إسار الأوهام ، و من هنا حرم الإسلام السحر و الكهانة و الشعوذة و غيرها من أساليب الدجل و الخرافة . كما أنه منع على العقل الخوض في الغيبيات من غير سلطان أو علم يأتيه من الوحي المنزل على الأنبياء، و اعتبر ذلك مسببا في هدر طاقته من غير طائل قال تعالى: ((إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم))

7 – تدريب العقل على الاستدلال المثمر و التعرف على الحقيقة و ذلك من خلال وسيلتين :

أ–الأولى : أنه وضع المنهج الصحيح للنظر العقلي المفيد لليقين، من هنا كانت دعوته إلى التثبيت قبل الاعتقاد، قال تعالى: ((و لا تقف ما ليس لك به علم))

■ للعقل في الإسلام أهمية كبرى فهو مناط المسؤولية وبه كرم الإنسان وفضل على سائر المخلوقات

((هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا))

ب–الثانية : الدعوة إلى التدبر في نواميس الكون لاستكشافها و تأمل ما فيها من دقة و ترابط ،و إلى استخدام الاستقراء و التمحيص الدقيق من أجل الوصول إلى اليقين.

8 – وجه الطاقة العقلية إلى استخلاص حكم التشريع و اسراره((أفلا يتدبرون القرآن و لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا))

9 – كما وجهه إلى استخلاص الطاقات المادية في الكون والاستفادة منها في بناء الحضارة((هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها و كلوا من رزقه))

10 – كما فتح له باب الاجتهاد في التشريع فيما لا نص فيه وذلك في مجالين:

أ– معرفة و استخلاص المقاصد و الأهداف من النصوص و الأحكام الشرعية.

ب– استنباط الأحكام و التشريعات للحوادث المستجدة، و هو مجال واسع يستند إلى مبادئ عدة كالقياس و المصلحة و الاستحسان و غيرها.

رابعا : حفظ النسل

و يراد به حفظ النوع الإنساني على الأرض بواسطة التناسل ذلك أن الإسلام يسعى إلى استمرار المسيرة الإنسانية على الأرض حتى يأذن الله بفناء العالم و يرث الأرض و من عليها . و من أجل تحقيق هذا المقصد شرع الإسلام المبادئ و التشريعات التالية:

1 – شريعة الزواج: فقد شرع الإسلام الزواج ورغب فيه واعتبره الطريق القطري النظيف الذي يلتقي فيه الرجل بالمرأة لا بدوافع غريزية محضة ولكن بالإضافة إلى تلك الدوافع،يلتقيان من أجل تحقيق هدف سام نبيل هو حفظ النوع الإنساني و ابتغاء الذرية الصالحة التي تعمر العالم وتبني الحياة الإنسانية وتتسلم أعباء الخلافة في الأرض لتسلمها إلى من يخلف بعدها حتى يستمر العطاء الإنساني و تزدهر الحضارة الإنسانية في ظل المبادئ النبيلة و القيم الفاضلة.

2 – العناية بتربية النشئ و تعميق روابط الألفة: ألزام الأبوين برعاية أولادهما و الانفاق عليهم حتى يتحقق للأولاد الاستغناء عن نفقة الأبوين.

3 – العناية بالأسرة و إقامتها على أسس سليمة باعتبارها الحصن الذي يحتضن جيل المستقبل و يتربى فيه ،فقد جعل الإسلام علاقة الزواج قائمة على الاختيار الحر و التراضي بين الطرفين، و على الانسجام و التشاور في كافة الشؤون بحيث تشيع روح المودة و التفاهم، و سعي كل من الزوجين في سعادة الآخر، قال تعالى: ((و من آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها و جعل بينكم مودة و رحمة))

4 – إحاطة العلاقة بين الذكر و الأنثى بمجموعة من المبادئ و الآداب الأخلاقية التي تضمن تحقيق الأهداف السامية لهذه العلاقة و تستبعد الممارسات الفوضوية للعلاقات بين الجنسين، فعن طريق إيجاب غض بصر الذكر عن الأنثى و الأنثى عن الذكر يقطع الإسلام الطريق على وسائل الإثارة في النفس البشرية. و بإيجاب اللباس الساتر بمواصفات خاصة يحارب التشريع أسباب الفتنة. وفي غير حالات الضرورة القصوى يحرم على الرجل الاختلاء بالمرأة الأجنبية حتى و إن كانت ملتزمة باللباس الساتر. إلا بوجود أحد محارمها. و للبيوت في الإسلام حرمة عظيمة حيث لا يجوز دخولها دون استئذان أصحابها و السلام عليهم.

قال تعالى:((يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها)) و بالإضافة إلى هذه الآداب و غيرها يضع الإسلام الضوابط التي تنظم حالات اجتماع الرجال و النساء عند الحاجة.

5 – تحريم الاعتداء على الأعراض ،و لذا حرم الله الزنا كما حرم القذف ،و حدد لكل منها عقوبة رادعة قال تعالى:((الزانية و الزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلده و لا تأخذكم بهما رأفة في دين الله)) ((و الذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة و لا تقبلوا لهم شهادة أبدا))

خامسا : حفظ المال

كما هو شأن الإسلام دائما مع النزعات الفطرية للإنسان حيث يبيح أشباعها و يلبي مطالبها ضمن الحدود المعقولة، مع التهذيب والترشيد حتى تستقيم و تحقق الخير للإنسان و لا تعود عليه بالشر، كان هذا شأنه مع نزعة حب التملك الأصلية في الإنسان، فقد أباح الملكية الفردية و شرع في ذات الوقت من النظم و التدابير ما يدارك الآثار الضارة التي قد تنجم عن طغيان هذه النزعة من فقدان للتوازن الاجتماعي، و تداول للمال بين فئة قليلة من المجتمع، و من النظم التي وضعها لأجل ذلك نظم الزكاة و الإرث و الضمان الاجتماعي .ومن ثم اعتبر الإسلام المال ضرورة من ضروريات الحياة الإنسانية

وشرع من التشريعات و التوجيهات ما يشجع على اكتسابه و تحصيله، و يكفل صيانته و حفظه و تنميته، و ذلك على النحو التالي :

وسائل الحفاظ على المال إيجادا و تحصيلا:

1/ الحث على السعي لكسب الرزق و تحصيل المعاش فقد حث الإسلام على كسب الأموال باعتبارها قوام الحياة الإنسانية واعتبر السعي لكسب المال –إذا توفرت النية الصالحة وكان من الطرق المباحة– ضربا من ضروب العبادة وطريقا للتقرب إلى الله قال تعالى:((هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها و كلوا من رزقه)) و قال تعالى: ((فإذا قضيتم الصلوة فانتشروا في الأرض و ابتغوا من فضل الله))

2/ أنه رفع منزلة العمل و أعلى من أقدار العمال، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (ما أكل أحد طعاما قط خيرا من عمل يده و إن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده) حديث صحيح ،و قرر حق العمل لكل إنسان و جعل من واجب الدولة توفير العمل لمن لا يجده ،كما قرر كرامة العامل و أوجب الوفاء بحقوقه المادية و المعنوية، يقول صلى الله عليه و سلم: (أعطوا الأجير حقه قبل أن يجف عرقه)و يقول فيما يرويه عن ربه: (ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر، و رجل باع حرا فأكل ثمنه ،و رجل استأجر أجيرا و لم يوفه حقه) و قرر أن أجر العامل يجب أن يفي بحاجياته

قال صلى الله عليه و سلم: (من ولي لنا عملا و ليس له منزل فليتخذ منزلا، أو ليست له زوجة، فليتخذ زوجة أو ليس له مركب فليتخذ مركبا) و هذا ما يطلق عليه في العصر «الحديث بمبدأ «تحديد الحد الأدنى للأجور

3/ إباحة المعاملات العادلة التي لا ظلم فيها و لا اعتداء على حقوق الآخرين . و من أجل ذلك أقر الإسلام أنواعا من العقود كانت موجودة بعد أن نقاها مما كانت تحمله من الظلم، و ذلك كالبيع و الإجارة و الرهن و الشركة و غيرها، و فتح المجال أمام ما تكشف عنه التجارب الاجتماعية من عقود شريطة أن لا تنطوي على الظلم أو الإجحاف بطرف من الأطراف أو تكون من أكل أموال الناس بالباطل، وسائل المحافظة على المال بقاء و استمرارا:

1/ ضبط التصرف في المال بحدود المصلحة العامة و من ثم حرم اكتساب المال بالوسائل غير المشروعة و التي تضر بالآخرين ،و منها الربا لما له من آثار تخل بالتوازن الاجتماعي ،قال تعالى : ((و أحل الله البيع و حرم الربا)) و قال: ((و لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل))

2/ كما حرم الاعتداء على مال الغير بالسرقة أو السطو أو التحايل و شرع العقوبة على ذلك قال تعالى: ((و السارق و السارقة فاقطعوا أيديهما)) و أوجب الضمان على من أتلف مال غيره قال صلى الله عليه وسلم: (كل المسلم على المسلم حرام دمه و ماله وعرضه)

3/ منع إنفاق المال في الوجود غير المشروعة، و حث على إنفاقه في سبيل الخير ،و ذلك مبني على قاعدة من أهم قواعد النظام الاقتصادي الإسلامي و هي أن المال مال الله و أن الفرد مستخلف فيه و وكيل قال تعالى: ((و أنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه)) ((و آتوهم من مال الله الذي آتاكم)) و من ثم كان على صاحب المال أن يتصرف في ماله في حدود ما رسمه له الشرع ،فلا يجوز أن يفتن بالمال فيطغى بسببه لأن ذلك عامل فساد و دمار قال تعالى: ((و إذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا)) و لا يجوز له أن يبذر في غير طائل قال تعالى: ((و لا تبذر تبذيرا إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين))

4/ سن التشريعات الكفيلة بحفظ أموال القصر و الذين لا يحسنون التصرف في أموالهم، من يتامى وصغار حتى يبلغوا سن الرشد ومن هنا شرع تنصيب الوصي عليه قال تعالى: ((وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم)) و قال تعالى :((و يسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير)) و من ذلك الحجر على البالغ إذا كان سيء التصرف في ماله قال تعالى: ((ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قيما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا))

5/ تنظيم التعامل المالي على أساس من الرضا والعدل ومن ثم قرر الإسلام أن العقود لا تمضي على المتعاقدين إلا إذا كانت عن تراض وعدل و لذلك حرم القمار قال تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم))

6/ الدعوة إلى تنمية المال و استثماره حتى يؤدي وظيفته الاجتماعية و بناء على ذلك حرم الإسلام حبس الأموال عن التداول و حارب ظاهرة الكنز قال تعالى: ((و الذين يكنزون الذهب و الفضة و لا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم)) و بهذه التشريعات كلها حفظ الإسلام المال و صانه عن الفساد حتى يؤدي دوره كقيمة لا غنى عنها في حفظ نظام الحياة الإنسانية ،و تحقيق أهدافها الحضارية و الإنسانية. شأنه في ذلك شأن كل المصالح السابقة التي تمثل أساس الوجود الإنساني و قوام الحياة الإنسانية و مركز الحضارة البشرية ،و التي بدون مراعاتها و حفظ نظامها يخرب العالم و تستحيل الحياة الإنسانية و يقف عطاؤها و استثمارها في هذا الوجود.

■ الدين يسعى إلى استمرار المسيرة الإنسانية على الأرض وذلك بحماية النسل البشري

محبة الوالدين لأبنائهم أمر مهم للغاية ومن صميم الدين الحنيف

معاملة الأطفال .. من منظور إسلامي

ان الحاجة إلى الحب والمحبة هي من أهم الحاجات النفسية والانفعالية التي يحتاجها الأطفال. فالطفل يسعى إلى ان يشعر انه محب ومحبوب. فان هذا الشعور المتبادل بينه وبين أبويه وإخوته مهم جدا لصحته النفسية.

عادة يميل الأطفال إلى ان يكونوا محبوبين ومرغوب فيهم ، ويسعون لان ينتموا لجماعة و بيئة اجتماعية صديقة ، فالحنان حاجة ماسة له والطفل الذي لا يشبع هذه الحاجة يعاني مما يسمى بالمصطلحات النفسية «الجوع العاطفي » وهذا الشيء له تاثير بالغ السوء على النمو النفسي لدى الأطفال ، فقد يتحول إلى عدوانيا أو منحرفا سلوكيا أو منطوي ....

ان محبة الوالدين لأبنائهما هي امر مهم جدا ، وعلى الأهل ان يظهروا لأطفالهم هذا الحب دون تفرقة بينهم، ان الطفل يحرص على إرضاء من حوله بما يجلب له السرور ويكسبه حبهم وتقديرهم وترحيبهم ، ويحاول ان يكون موضع تقدير وقبول واعتراف، وتلعب عملية التنشئة الاجتماعية دورا هاما في إشباع هذه الحاجة، لذلك على الآباء مراعاة المساواة في التعامل مع الأطفال وذلك ما أكده الكثير من الخبراء في علم السلوك ، وفي هذا الموضوع نجد ان الدين الإسلامي قد أعطانا بعض النقاط التي قد تساعدنا في تعاملنا الصحيح مع اطفالنا، فقد قال محمد صلى الله عليه وسلم في حديثه الشريف:

روى البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما ان أباه أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إني نحلت ابني هذا – أي أعطيته – غلاما كان لي .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « أكل ولدك نحلته مثل هذا ؟»

فقال : لا.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فارجعه » .

وفي رواية: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:«أفعلت هذا بولدك كلهم؟ ».

قال : لا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «اتقوا الله واعدلوا في أولادكم» .

ان ظاهرة المفاضلة بين الأولاد لها تاثير سلبيا ، لأنها تولد الحسد والكراهية ، وتسبب الخوف والخجل ، وتؤدي إلى كثير من المشاكل السلوكية .

كما وان تصرفات الآباء وسلوكهم نحو أطفالهم قد يزيد من التوتر لدى الأطفال ، فقد يؤدي البعض إلى البلبلة لدى الطفل وذلك يتضح عندما يمسك الوالد طفله بين يديه ثم يبعده عنه فجاة دون سابق إنذار لأنه « مبلل » أو « متسخ » . أو عندما يصرخ احد الوالدين في وجه الطفل لأنه احدث ضجة أو فوضى. ويلومونه كثيرا على ما يفعل من أخطاء .

كل هذا قد يشعر الطفل بالتردد في كل ما يفعل . وكما هو معروف ان الطفل لا يستطيع أن ينظر من زاوية نظر الآخرين إذ ان تفكيره متمركزا حول ذاته ، ولا يستطيع ان يفهم وجهة نظر والديه فيما يقولونه له .

ونتيجة لهذا الشيء قد يحدث خلل في العلاقة بين الطرفين، وإيجاد جو من التوتر والإحباط. على الجميع ان يعلم ان للطفل عالمه الخاص به وأننا بحاجة إلى ان نعامله باللين والحنان والعطف ، لا بالصراخ والأوامر والنواهي لأنه دون جدوى لا يفهم ما نقصده أو نفهمه نحن ، بل قد تكون النتيجة عكسية ، ومن المؤكد ان الجو العام الذي يسود عملية التنشئة الاجتماعية للطفل هو الذي يؤدي إلى السلوك السوي أو اللاسوي .

ومن وجهة نظر الإسلام فقد حث على معاملة الأطفال بالمحبة والمودة لأنهم بحاجة إلى ذلك وخاصة من أبويهم.

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت : « قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الحسن والحسين ابني علي رضي الله عنهم ، وعنده الأقرع بن حابس التميمي ، فقال الأقرع:

ان لي عشرة ما قبلت منهم أحدا قط.

فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: « من لا يرحم لا يرحم ". وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء إعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:

– إنكم تقبلون الصبيان ، وما نقبلهم !

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أو املك ان نزع الله الرحمة من قلبك؟! »

كما وحث الإسلام على التعامل مع الأطفال باللين وان نبتعد عن التعنيف والقسوة والمعاملة الفجة في تعليمهم الأشياء ، فالأسلوب المبني على الإذلال والعنف والمنع والكف وإصدار الأوامر والنواهي يعرض الطفل إلى ألوان شتى من الصراعات المصحوبة بشعور غامض من القلق وعدم الثقة والخجل والشك ،وهذه الأمور من المحتمل ان تستفحل تدريجيا إلى ان تصبح خطرا يهدد الطفل وكيانه

روى الحارث والطيالسي والبيهقي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« علموا ولا تعنفوا فان المعلم خير من المعنف »

قصص من حياة الرسول

ولد الناقة

جاء رجل من الصحابة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلب منه دابة يسافر عليها قائلا: «احملني»، فأراد النبي أن يمازح الرجل ويطيب خاطره فقال له: إنا حاملوك على ولد الناقة، استغرب الرجل كيف يعطيه النبي صلى الله عليه وسلم ولد الناقة ليركب عليه، فولد الناقة صغير ولايتحمل مشقة الحمل والسفر، وإنما يتحمل هذه المشقة النوق الكبيرة فقط، فقال الرجل متعجبا: وماأصنع بولد الناقة! وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقصد أنه سيعطيه ناقة كبيرة، فداعبه النبي قائلا: وهل تلد الإبل إلا النوق؟!» رواه أبوداود.

طعام في الظلام

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فبعث إلى نسائه فقلن مامعنا إلا الماء، فقال صلى الله عليه وسلم من يضم أو يضيف هذا؟ فقال رجل من الأنصار: أنا، فانطلق به إلى امرأته فقال: أكرمي ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت ماعندنا إلا قوت صبياني فقال: هيئي طعامك وأصبحي سراجك ونومي صبيانك إذا أرادوا عشاء، فهيأت طعامها، وأصبحت سراجها فأطفأته، فجعلا يريانه أنهما ياكلان، فباتا طاويين، فلما أصبح غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ضحك الله الليلة وعجب من فعالكما، فأنزل الله ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾» رواه البخاري